مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: مناسبة صفات الله الواردة في ختام الآيات لمضمون الآيات عند ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز"
اسم الكاتب: د. عجاج برغش
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1825
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 01:42 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مناسبةُ صفاتِ الله الواردةِ في ختام الآيات لمضمون الآيات عند ابن عطيَّة في تفسيره «المحرَّر الوجيز»

دراسة تحليلية مقارنة

د.عجاج برغش*

الملخَّص

إن تفسير «المحرَّر الوجيز» لابن عطيَّة الأندلسيِّ من أهمِّ كتب التفسير؛ لما اشتمل عليه من التحرير والتحقيق والتهذيب، وقد كانت له عنايةٌ بالجانب البلاغي في القرآن الكريم، ومن جملة ذلك عنايتُهُ بحُسنِ اختيار الألفاظ، وهذا البحث يبيِّنُ جانباً من جوانب حُسنِ اختيار الألفاظ في القرآن الكريم؛ وهو حُسنُ مناسبة صفات الله تعالى الواردةِ في ختام الآيات لمضمون الآيات، أو لما قبلها أو بعدها، فيجمعُ الأمثلةَ التي بيَّنَ فيها ابنُ عطيَّة مناسبةَ هذه الصفات، ويوضِّحُ هذه المناسبةَ ويزيدُها بياناً لا سيَّما المواضع التي أجملَ فيها ابنُ عطيَّة وجهَ التناسب، ويقارنُ كلامَ ابن عطيَّة بكلام جملةٍ من المفسِّرينَ الذي اعتنَوا بهذا الجانب أيضاً؛ لبيانِ وجوهِ الاتِّفاقِ والاختلاف بين كلامه وكلامهم، وإثراءِ البحث في هذه الجزئيَّة من جزئيَّات التلاؤم والتناسب، ويُعينُ القارئَ على التدبُّرِ للقرآن الكريم بقدر الطاقة، ويُسهِمُ في الكشف عن الذَّوقِ البلاغيِّ عند ابن عطيَّة.

* مدرس في قسم علوم الحديث والقرآن- كلية الشريعة- جامعة دمشق

The Suitability of the Divine Attributes Found in the End of the Verses with the content of the Verses According to Ibn ʿAṭiyya: A Comparative and Analytical Study

Ajaj Barkhash*

Abstract

Al-muḥarrar al-wağīz by Ibn ʿAṭiyya al-Andalusī is considered to be one of the most important Qurʾanic exegeses, for Ibn ʿAṭiyya in the work includes edition, verification, and refinement. Ibn ʿAṭiyya deals with the rhetorical dimension of the Qurʾān. The rhetorical dimension focuses on, in particular, the suitable choice of words in the Qur'an. The present paper examines the suitable choice of words in the Qurʾān, namely, the relationship between the attributes of God mentioned at the end of the verses and the content of the verses in their contexts. In this research, the examples in which Ibn ʿAṭiyya demonstrates the relationship between the content of the verse and the attributes of God will be collected and explained in detail. Moreover, the study will compare between the views of Ibn ʿAṭiyya and other Qurʾānic exegeses on this issue. In conclusion, the research will show agreements and differences between their opinions. The paper will help its reader discover Ibn ʿAṭiyya's approach to the Qurʾānic rhetoric.

* Lecturer in the Department of Hadith and Quran Sciences - Faculty of Sharia - University of Damascus

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم على نبيّنا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهمَّ؛ فقِّهْنا في الدِّين، وعلِّمْنا التأويلَ.

أمَّا بعد:

فإنَّ من أجلى وجوهِ إعجاز القرآن الكريم بلاغةَ نظمِهِ الفائقِ، ومن صُوَرِ هذه البلاغةِ الباهرةِ: حُسنُ اختيار ألفاظِهِ بحيث أنَتْ كلُّ لفظة من ألفاظه مستقرَّةً غيرَ قلقةٍ في موضعها الذي وردَتْ فيه، ملائمةً لسياقها أحسنَ التلاؤم وأكملَهُ.

ومن صُوَرِ حُسنِ اختيار الألفاظ: أن تأتيَ صفاتُ الله تعالى الواردةُ في ختام الآية ملائمةً لمضمون الآية، أو لمضمون جملة من الآيات قبلها أو بعدها.

ومن جملة المفسِّرينَ الذين اعتنَوا بإبراز هذه الصورة: الإمامُ عبدُ الحقِّ بنُ غالب ابن عطيَّة (542هـ) في تفسيره المعروف بـ «المحرَّر الوجيز»، وقد أحببت أن أبيِّنَ جهودَهُ في هذا الجانب في هذا البحث الذي جعلتُهُ بعنوان:

مناسبةُ صفاتِ الله الواردةِ في ختام الآيات لمضمون الآيات عند ابن عطيَّة في تفسيره «المحرَّر الوجيز»
دراسة تحليلية مقارنة

أهمِّيَّة البحث:

تأتي أهمِّيَّةُ البحث من حيثُ كونُهُ يجمعُ الأمثلةَ التي بيَّنَ فيها ابنُ عطيَّة مناسبةَ صفات الله تعالى الواردةِ في ختام الآيات للآيات أو لما قبلها أو بعدها، ويوضِّحُ هذه المناسبةَ ويزيدُها بياناً لا سيَّما المواضع التي أجملَ فيها ابنُ عطيَّة وجهَ التناسب، ويقارنُ كلامَ ابن عطيَّة بكلام جملة من المفسِّرين الذي اعتنَوا بهذا الجانب أيضاً؛ لبيانِ وجوهِ الاتِّفاقِ والاختلاف بين كلامه وكلامهم، وإثراءِ البحث في هذه الجزئيَّة من جزئيَّات التلاؤم والتناسب، ويُعين القارئَ على التدبُّرِ للقرآن الكريم بقدر الطاقة، ويُسهم في الكشف عن الذَّوق البلاغيِّ عند ابن عطيَّة.

أسباب اختيار البحث:

لمَّا قرأت تفسيرَ ابن عطيَّة كان من جملة ما جذبَ نظري قولُهُ في مقدِّمة تفسيره: (كتابُ اللهِ لو نُزِعَتْ منه لفظةٌ، ثمَّ أُدِيرَ لسانُ العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تَبِينُ لنا البراعةُ في أكثرِهِ، ويخفى علينا وجهُها في مواضعَ؛ لقصورِنا عن مرتبةِ العرب يومئذٍ في سلامة الذَّوقِ وجودةِ القَرِيحةِ ومَيْزِ الكلام)[1]، وأثار ذلك سؤالاً في ذهني؛ هل اعتنى ابنُ عطيَّة ببيان حُسن اختيار ألفاظ القرآن الكريم؟ فتتبَّعت هذه الجزئيَّة لمعرفة الجواب، فكان من ثمار ذلك فكرة هذا البحث الذي يبيِّن جانباً من جوانب حُسن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم اعتنى به ابنُ عطيَّة؛ وهو حُسنُ مناسبة صفات الله الواردةِ في ختام الآيات لمضمون الآيات؛ فليس المقصود بكلام ابن عطية المذكور مقتصراً على أن

[1] المحرر الوجيز (52/1).

تُقدَّمَ الكلمةُ على ما يُشبِهُ معناها من الكلمات عند اختيارها لتكون جزءاً من النظم، بل يشمل أن تكون بعد اختيارها مطمئنَّةً غيرَ قلقة في موضعها الذي وردت فيه.

حدود البحث:

لا يمكن في بحث واحد استيفاءُ جميع الأمثلة التي بيَّنَ فيها ابنُ عطيَّة مناسبة صفات الله الواردة في ختام الآيات لمضمون الآيات؛ ولذلك أفردت للأمثلة الواردة في النصف الثاني من القرآن الكريم بحثاً مستقلاً، وقمت في هذا البحث بدراسة معظم الأمثلة الواردة في النصف الأول من القرآن الكريم، واخترت خمس سور بعضها مكي، وبعضها مدني؛ وهي الأنعام والأنفال والتوبة، ويوسف، وإبراهيم؛ لأنه لا يمكن أيضاً دراسة جميع الأمثلة المتعلِّقة بالنصف الأول من القرآن الكريم[1].

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود البحث الذي قمت به على دراسة خاصة للمناسبة المذكورة عند ابن عطية، وإنما وقفت على دراسات تناولت هذا الموضوع على وجه العموم دون تقييد بمفسِّر معيَّن، منها:

[1] ومن الأمثلة التي تركت دراستها: ما ذكره ابن عطية (302/1) في بيان مناسبة (سميع عليم) في قوله تعالى: {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 181]، ومناسبة (غفور حليم) في قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 225]، و(سميعاً عليماً) في قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: 148]، و(غفور حليم) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة: 101].

- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة المجادلة، د. زهدي محمد أبو نعمة، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، يناير 2011م.
- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ، محمد يوسف هاشم السيد، وهو بحث مقدم استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية – غزة.
- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورة البقرة الآيات (142) إلى نهاية السورة، نور الدين محمد عقيلان، وهو بحث مقدم استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية – غزة.
- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء، عبد الله سالم سلامة، وهو بحث مقدم استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية – غزة.
- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة الزمر وغافر وفصلت، كوثر بسام النعسان، وهو بحث مقدم استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية – غزة.
- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسور يوسف والرعد وإبراهيم، نمر جبر سدر، وهو بحث مقدم استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية – غزة.

وهذه الدراسة الأخيرة تتقاطع مع البحث في سورتي يوسف وإبراهيم عليهما السلام؛ ولذلك رجعت إليها لأرى إن كان الباحث قد تعرَّض للأمثلة التي ذكرتها في هذا

البحث، فرأيت أنه في سورة يوسف عليه السلام تعرَّض لخاتمة قوله تعالى: {وكذلك يجتبيك ربك...} الآية، وذكر مناسبة خاتمتها معتمداً على كتاب «نظم الدرر» فقط، ولم يرجع لابن عطية ولا لغيره من المفسرين، فضلاً عن المقارنة، وتعرَّض لمناسبة خاتمة قوله تعالى: {فاستجاب له ربه...} الآية، ولم يذكر مصادر.

وتعرَّض في سورة إبراهيم عليه السلام لمناسبة خاتمة قوله تعالى: {الر* كتاب أنزلناه إليك...} الآية معتمداً على «التفسير الوسيط» للدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى، وتعرَّض لمناسبة خاتمة قوله تعالى: {وقال موسى إن تكفروا...} الآية معتمداً على «التحرير والتنوير» فقط.

وبذلك يتميَّز البحث عن هذه الدراسة من حيث الرجوع إلى المصادر الأصيلة والمقارنة بينها، وعدم الاقتصار على بعضها.

منهج البحث:

يقومُ منهجُ البحث على ثلاثِ دعائم:

1- **الاستقراء**: وذلك باستقراءِ كتابِ «المحرَّر الوجيز»؛ لاستخراج المواضع التي بيَّن فيها ابنُ عطيَّة مناسبة صفات الله الواردة في ختام الآيات لمضمون الآيات، وقد قمتُ باستقراء الكتاب كاملاً، واستخرجتُ جميع الأمثلة، ولكن اقتصرت في هذا البحث على دراسة معظم الأمثلة الواردة في النصف الأوَّل من القرآن الكريم كما سبق في حدود البحث.

2- **التحليل:** وذلك بتحليلِ كلامِ ابنِ عطيَّة؛ لاستنباطِ المناسبات بين صفات الله الواردة في ختام الآيات ومضمون الآيات.

3 - **المقارنة:** وذلك بمقارنةِ كلامِ ابنِ عطيَّة بكلامِ جملة من المفسِّرين الذي اعتنَوا بهذا الجانب أيضاً؛ لبيانِ وجوهِ الاتِّفاقِ والاختلاف بين كلامه وكلامهم، وإثراءِ البحث في هذه الجزئيَّة من جزئيَّات التلاؤم والتناسب، وإن لم أذكر مقارنة في بعض الأمثلة فذلك لأنني لم أقف فيها على كلام عند غير ابن عطيَّة.

خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى مطلب تمهيدي وخمسة مطالب، ذكرت في المطلب التمهيدي لمحةً عن ابن عطية وتفسيره، ونبذةً عن حسن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم وأشكال العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها؛ لأن المقام لا يسع أكثر من ذلك، وأما المطالب الخمسة فجعلتها لدراسة الأمثلة الواردة في سور الأنعام والأنفال والتوبة ويوسف وإبراهيم، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأوَّل: دراسة الأمثلة الواردة في سورة الأنعام.

المطلب الثاني: دراسة الأمثلة الواردة في سورة الأنفال.

المطلب الثالث: دراسة الأمثلة الواردة في سورة التوبة.

المطلب الرابع: دراسة الأمثلة الواردة في سورة يوسف.

المطلب الخامس: دراسة الأمثلة الواردة في سورة إبراهيم.

المطلب التمهيدي: مدخل إلى البحث

ويتضمَّن لمحةً عن ابن عطية وتفسيره، ونبذةً عن حسن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم وأشكال العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها.

أولاً: لمحة عن ابن عطية وتفسيره:

أ – لمحة عن ابن عطية:

هو الإمام عبد الحق بن غالب ابن عطية، كان مولدُه في سنة (480هـ)، تتلمذ أوَّلاً على يد والده الحافظ النَّاقد المجوِّد غالب ابن عطيَّة (518هـ)، ثم أقبلَ على أعيان عصره، وتتلمذ عليهم في شتَّى العلوم والفنون، ولمَّا تكاملتْ شخصيَّته العلميَّةُ، وتفوَّق في كثير من العلوم والفنون – صار محطَّ أنظار طلَّاب العلم، فتتلمذ عليه جماعة من الأعيان، ومنهم محمَّد بن خير بن عمر الإشبيليُّ المقرئُ، صنَّف ابن عطية تفسيره المشهور بـ «المحرَّر الوجيز» في تفسير الكتاب العزيز، و«الفِهْرِست»، ذكر فيه أسماءَ شيوخه وترجم لهم، تُوفِّي سنة (542هـ)، وقيل: (541هـ)[1].

ب – لمحة عن تفسير «المحرَّر الوجيز»:

[1] انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (133/20)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص50)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني (526/2 – 528).

تفسير المحرَّر الوجيز تفسير جليلُ القدر، كُتب له القَبولُ في عصره وبعده، وطارت شهرتُهُ في الآفاق، فتداوله فُحول العلماء، وأثنَوْا عليه خيراً.

ومنهجه بنحو عام: أنه يبدأ تفسير السُّورة ببيان المكِّيّ والمدَنيّ منها، ثمَّ يتعرَّض لاسم السُّورة مع بيان مستند هذا الاسم، ثمَّ يبيّن فضل السُّورة وما ورد فيه من الآثار، ويذكر في بعض الأحيان عدد آياتها، وبعد ذلك يبدأ بتفسير السُّورة آيةً آيةً، ويتكلَّم عن سبب نزول الآية إن وُجد، ويشرح الكلمات الغريبة مبيّناً المعاني المتعدِّدة التي تحتملها الكلمة، ويستشهد لكلِّ معنى بما يُؤيّدُه من كلام العرب خصوصاً الأبيات الشِّعْريَّة، فقد كانتْ له عنايةٌ كبيرةٌ بها، ويبيّن ما يراه راجحاً من المعاني المتعدِّدة للكلمة، ويبيّن القراءات مع حُجَّة كلِّ قراءةٍ، ولم يقتصر على القراءات المتواترة، بل يذكرُ القراءات الشَّاذَّة أيضاً، ويُعرِبُ ما يحتاجُ إلى إعرابٍ، وقد يتعرَّض لأوجُه المناسبَة بين الآيات، ويلاحَظ على منهجه بشكلٍ واضحٍ التَّركيزُ على النَّواحي اللُّغويَّة مع عنايته بالمأثور أيضاً، ويتعرَّض في تفسيره للأحكام الفقهيَّة والعقديَّة[1].

ثانياً: نبذة عن حسن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم، وأشكال العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها:

أ- نبذة عن حسن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم:

أكَّد العلماء أن ألفاظ القرآن الكريم قد وقعت كل لفظة منها في محلِّها اللائق بها، ولا يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى، وقد سبق في أسباب اختيار البحث ذكرُ كلام ابن عطيَّة في ذلك.

[1] انظر للتوسع: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم لفايد عبد الوهاب (ص130) وما بعدها.

وفي ذلك يقول الرافعي أيضاً: (ولمَّا كان الأصل في نظم القرآن أن تُعتبرَ الحروفُ بأصواتِها وحركاتِها ومواقعِها من الدلالة المعنويَّة– استحال أن يقعَ في تركيبه ما يُسوِّغ الحكمَ في كلمةٍ زائدة، أو حرفٍ مضطربٍ، أو ما يجري مجرى الحشوِ والاعتراضِ... بل نزلت كلماتُهُ منازلَها على ما استقرَّتْ عليه طبيعةُ البلاغة، وما قد يُشبِهُ أن يكون من هذا النحو الذي تمكَّنت به مفرداتُ النظام الشمسيّ، وارتبطت به سائرُ أجزاء المخلوقات، صفة متقابلة بحيث لو نُزعت كلمةٌ منه أو أُزيلت عن وجهها، ثم أُديرَ لسانُ العرب كلُّهُ على أحسنَ منها في تأليفِها وموقعِها وسَدادِها– لم يتهيَّأْ ذلك، ولا اتَّسعت له اللغةُ بكلمةٍ واحدةٍ)[1].

ب– أشكال العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها:

ذكر العلماء أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاعُ المناسبة مقاطعُ الكلام وأواخره، فلا بد أن تكون مناسبةً للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعضُ الكلام عن بعض.

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك[2]، وهي منحصرة في أربعة أشياء:

التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير.

والفرقُ بينها: أنَّهُ إن كان تقدَّم لفظُها بعينه في أول الآية سُمِّيَ تصديراً، وإن كان في أثناء الصدر سُمِّيَ توشيحاً، وإن أفادت معنىً زائداً بعد تمام معنى الكلام سُمِّيَ إيغالاً، وأما التمكين: الأول: فهو أن تمهِّد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكَّنةً في

[1] إعجاز القرآن والبلاغةُ النبوية (ص155).

[2] **الفاصلة:** (كلمةٌ آخرَ الآية كقافية الشعر وقرينة السجع). البرهان في علوم القرآن للزركشي (53/1).

مكانها، مستقرَّةً في قرارها، مطمئنَّةً في موضعِها، غيرَ نافرة ولا قلقة، متعلِّقاً معناها بمعنى الكلام كلِّهِ تعلُّقاً تامّاً بحيث لو طُرحت اختلَّ المعنى، واضطرب الفهم[1].

المطلب الأوَّل: دراسة الأمثلة الواردة في سورة الأنعام

- **أوَّلاً: قولُهُ تعالى:** {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: 13].

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة ذكر وصفَي (السميع) و(العليم): ({وهو السميعُ العليمُ} هاتانِ صفتانِ تليقانِ بنمَطِ الآيةِ[2]؛ مِنْ قِبَلِ أنَّ ما ذكرَ قبلُ من الأقوالِ الرديَّةِ عن الكفرةِ العادلينَ[3].. هو سميعٌ لهم، عليمٌ بمواقعِها، مُجازٍ عليها)[4].

والحاصل: أنَّ ذكر هذينِ الوصفين يتناسب مع ذكر أقوالٍ قبيحةٍ صدرت عن الكفرة فيها تكذيبٌ واستهزاءٌ؛ من جهة أنَّ هذه الأقوال لا تخفى عليه سبحانه وتعالى، بل هو سميع عليم بها، وسيجازي عليها أصحابَها يوم القيامة؛ فيكون في الكلام وعيدٌ وتهديدٌ؛ لأنَّ قوله تعالى: {وهو السميع العليم} وإن كان خبراً من حيث الظاهرُ لكن المرادُ به لازمُه؛ وهو المجازاة؛ لأنه يلزم من كونه سبحانه وتعالى سميعاً عليماً بهذه الأقوال أن يجازيَ عليها أصحابَها يوم القيامة.

---

[1] انظر البرهان في علوم القرآن (78/1 – 79).

[2] **النَّمط في الأصل:** الطريقة والمذهب. انظر أساس البلاغة للزمخشري (ن م ط) (305/2)، ولعل المقصود به هنا: الموضوع والغرض.

[3] قوله: (الكفرة العادلين) إشارة إلى قوله تعالى في أول السورة: { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: 1].

[4] المحرر الوجيز (272/2).

وفي كلام ابن عطيَّة نظرٌ إلى السياق الذي وردت فيه الآية؛ لأنَّ الأقوالَ القبيحةَ المذكورةَ قد حُكيت في آيات سابقة بقوله تعالى: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 7 – 12].

ويلاحظ في هذا المثال: أنَّ ابن عطيَّة بيَّن مناسبةَ هذين الوصفين باعتبار موقع الآية التي وردا فيها من الآيات السابقة.

وأمَّا ابنُ عاشور (1393هـ) فبيَّن مناسبةَ الوصفين للآية التي وردا فيها بصرف النظر عن موقعِ الآية من الآيات السابقة؛ فقال: (وقد جاء قولُهُ: {وهو السميع العليم} كالنتيجة للمقدِّمة، لأنَّ المقصودَ من الإخبار بأنَّ الله يملك الساكنات التمهيدُ لإثبات عمومِ علمِه، وإلا فإنَّ مِلكَ المتحرِّكاتِ المتصرِّفاتِ أقوى من مِلكِ الساكنات التي لا تُبدي حراكاً؛ فظهرَ حُسنُ وقعِ قوله: {وهو السميع العليم} عَقِبَ هذا)[1].

ويلاحظ أيضاً: أن ابن عطيَّة اعتبر خصوص مناسبة الوصفين، وأما ابن عاشور فذكر مناسبة الجملة التي ورد فيها الوصفان، ومُؤدَّى الكلامين واحد.

[1] التحرير والتنوير (155/7).

وتجدر الإشارة إلى أمر يتعلَّق بهذا المثال وما بعده من الأمثلة؛ وهو أن ختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى يسمَّى في علم البلاغة تشابهَ الأطرافِ، وهو داخل في مراعاة النظير؛ وهي أن يجمع المتكلم بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد[1].

ومن أبرز عناصر جماليَّة هذا الفنِّ البلاغي: الانسجامُ والتساوقُ والتناغمُ، وهي أمور لا يُشكُّ في انتمائِها إلى الجمال، وإيقاظِها الحسَّ الجماليَّ، وهذا الفنُّ البديعيُّ يُضفي على الكلام مظهراً من مظاهر القوَّة والمتانة؛ فإن المعانيَ المتناسبةَ يُعزِّزُ بعضُها دلالةَ بعضٍ، ويشدُّ أَزْرَها[2].

- **ثانياً: قولُهُ تعالى:** {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 18].

قال ابنُ عطيَّةَ في بيان مناسبة ذكر وصفَيِ (الحكيم) و(الخبير): (والحكيمُ بمعنى المحكِم، والخبيرُ دالٌّ على مبالغةِ العلمِ، وهما وصفانِ مناسبانِ لنمَطِ الآيةِ)[3].

ومحلُّ الشاهد: قولُهُ: (وهما وصفان مناسبان لنمَطِ الآية)؛ أي: أن (الحكيم) و(الخبير) وصفان مناسبان للغرض الذي سيقت له الآيةُ؛ وهو بيانُ استحقاقِه سبحانه وتعالى للألوهيَّة والعبادة؛ فقولُهُ: (وهو القاهر فوق عباده) إشارةٌ إلى كمال القدرة، وقولُهُ: (وهو الحكيم الخبير) إشارةٌ إلى كمال العلم، والقدرةُ والعلمُ من صفات الإله المستحِقِّ للعبادة.

وبيانُ ذلك: أن هذه الآيةَ جاءت في سياق آياتٍ واردةٍ لإبطالِ استحقاقِ الأصنام العبادةَ؛ قال تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

[1] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ص355 – 357).
[2] انظر: المفصل في علوم البلاغة العربية للدكتور عيسى العاكوب (ص565).
[3] المحرر الوجيز (275/2).

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 14 – 18].

فما قبل هذه الآيةِ أبطلَ استحقاقَ الأصنام العبادةَ؛ بنفي أن يكون للأصنام تصرُّفٌ في الخلق وفي أحوال المخلوقات، وهذه الآية أبطلت أن يكون غيرُ الله قاهراً على أحد، أو خبيراً أو عالماً بإعطاء كلِّ مخلوق ما يناسبه، ويدلُّ على ذلك الحصرُ في قوله: (وهو القاهر)، وقوله: (وهو الحكيم الخبير)، **والمعنى**: أنَّهُ لا موصوفَ بكمالِ القدرة وكمالِ العلم إلا الحقُّ سبحانه، وعند هذا يظهر أنه لا كاملَ إلا هو، وكلُّ من سواهُ فهو ناقصٌ[1].

ويلاحظ في هذا المثال: أنَّ ابن عطيَّة بيَّن مناسبةَ هذين الوصفين باعتبار موقع الآية التي وردا فيها من الآيات السابقة.

ويلاحظ أيضاً: أنَّه ذكر المناسبةَ إجمالاً دون تفصيلٍ، بخلاف المثال الأوَّل.

– **ثالثاً: قولُهُ تعالى:** {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 128].

[1] انظر مفاتيح الغيب للرازي (495/12)، والتحرير والتنوير (164/7).

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة ذكر صفتَي (حكيم) و(عليم) لتخليد الكفَّار في النَّار: (و{حكيمٌ عليمٌ} صفتانِ مناسبتانِ لهذهِ الآيةِ؛ لأنَّ تخليدَ هؤلاءِ الكفرةِ في النَّارِ فعلٌ صادرٌ عن حكمةٍ وعلمٍ بمواقعِ الأشياءِ)[1].

ويلاحظ: أنه بيَّن مناسبة هاتين الصفتين لجزء من الآية؛ وهو قوله تعالى: { قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ }.

وقريبٌ ممَّا ذكرَهُ ابنُ عطيَّة: ما ذكرَهُ الزمخشريُّ (538هـ)[2]، والرازيُّ (606هـ)[3]، وابنُ عاشور[4].

وفي كلام الرازي إشارة إلى كون جملة (إِنَّ ربَّكَ حكيمٌ عليمٌ) استئنافاً تعليلياً[5]؛ قال: (وكأنه تعالى يقول: إنما حكمتُ لهؤلاء الكفار بعذابِ الأبد؛ لعلمي أنهم يستحقُّون ذلك)[6]، وكونُ المراد بالاستئناف التعليلَ يمهِّدُ لمجيء الصفتين في نهاية الجملة لهذا الغرض أيضاً.

---

[1] المحرر الوجيز (346/2).

[2] انظر الكشاف (66/2).

[3] انظر مفاتيح الغيب (149/13).

[4] انظر التحرير والتنوير (72/8).

[5] ويسمَّى كذلك: الاستئناف البياني؛ وهو الذي يكون جواباً لسؤال اقتضته الجملة قبله، وهو من مواضع الفصل؛ أي: ترك العطف. انظر المختصر شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني (ص404).

[6] مفاتيح الغيب (149/13).

المطلب الثاني: دراسة الأمثلة الواردة في سورة الأنفال

- **أوَّلاً: قولُهُ تعالى:** { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 10].

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة ذكر صفتَي العِزَّة والحكمة في خاتمة الآية: (وهذه القصَّةُ كلُّها من قصَّة الكفار وغلَبةِ المؤمنين لهم.. تليقُ بها من صفات الله عزَّ وجلَّ العِزَّةُ والحكمةُ إذا تُؤُمِّلَ ذلك)[1].

ويلاحظ: أنَّه بيَّنَ مناسبةَ ذكرِ هاتين الصفتين في خاتمة هذه الآية باعتبار موقعِ الآية من الآيات السابقة؛ فالآية واردةٌ في سياق آيات متعلِّقةٍ بقصَّة بدر؛ قال تعالى: { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ* إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 5 – 10].

ويلاحظ: أنَّ ابنَ عطيَّة ذكر المناسبةَ إجمالاً دون تفصيلٍ، وإنَّما أحالَ على التأمُّل، وفي ذلك بعثٌ للقارىء على إعمال الفكر والنَّظر.

[1] المحرر الوجيز (505/2).

ولعلَّ وجهَ المناسبة: أنَّ العزيز هو الذي لا يُغالَب في حُكمِه، ولا يُنازَع في أقضيتِه، والحكيم هو الذي يفعلُ ما يشاء حسبما تقتضيهِ الحكمةُ والمصلحةُ، وهذا يتناسب مع ما ذُكِرَ من نصر المؤمنين على الكافرين.

وقريب ممَّا ذكرَهُ ابنُ عطيَّة: ما ذكرَهُ أبو السعود (982هـ) بقوله: (والجملةُ – أي: جملة {إن الله عزيز حكيم} – تعليلٌ لما قبلها متضمِّنٌ للإشعار بأنَّ النَّصرَ الواقعَ على الوجه المذكورِ من مقتضَيات الحِكَمِ البالغةِ)[1].

ويؤخذُ من كلامِهِ: أن جملة {إن الله عزيز حكيم} استئناف تعليلي، وهذا يمهِّد لمجيء صفتَيِ العِزَّة والحكمةِ في نهايتها للتعليل على الوجه الذي تقدَّم.

ويلاحظ: أن ابن عطيَّة ذكر مناسبةَ الوصفينِ، وأما أبو السُّعود فذكر مناسبة الجملة التي ورد فيها الوصفان، ومؤدَّى الكلامين واحد.

- **ثانياً: قولُهُ تعالى:** {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: 67].

قالَ ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة صفتي العِزَّةِ والحكمةِ للآية: (و«عزيزٌ حكيمٌ» صفتانِ مِنْ قِبَلِ الآيةِ؛ لأنَّ بالعِزَّةِ والحكمةِ يتمُّ مرادُهُ على الكمالِ والتوفيةِ)[2].

وتوضيحُ مرادِهِ: أنَّهُ سبحانه وتعالى بعِزَّتِهِ يُغلِّبُ أولياءَهُ على أعدائِهِ، وبحكمتِهِ يعلمُ ما يليقُ بكلِّ حالٍ؛ فكما أمرَ بالإثخانِ، ونهى عن أخذِ الفِداءِ حين كانَتِ الشَّوكةُ للمشركينَ.. خيَّرَ

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (9/4).
[2] المحرر الوجيز (553/2).

بينَ الفِداءِ وبينَ المنِّ بقولِهِ تعالى:{فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء}[محمد: 4] لمَّا تحوَّلَتِ الحالُ، وصارَتِ الغَلَبةُ للمؤمنينَ[1].

وأمَّا ابنُ عاشور: فلم ينظر إلى مناسبة الوصفينِ للآيةِ كلِّها، وإنَّما نظرَ إلى مناسبتِهما لجزءٍ منها؛ وهو قولُهُ تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ }؛ فذكرَ أنَّ جملةَ {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } عطفٌ على جملة { وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } عطفاً يُؤذِنُ بأنَّ لهذينِ الوصفينِ أثراً في أنَّهُ يريدُ الآخرةَ، فيكونُ كالتعليل، وهو يفيدُ أنَّ حظَّ الآخرة هو الحظُّ الحقُّ؛ ولذلك يريدُهُ العزيزُ الحكيمُ؛ فوصفُ العزيزِ يدلُّ على الاستغناءِ، وعلى الرِّفعةِ والمقدرةِ؛ ولذلكَ لا يليقُ به إلا محبَّةُ الأمورِ النفيسةِ، وهذا يُومئُ إلى أنَّ أولياءَهُ ينبغي لهم أن يكونوا أعزَّاءَ، ويبتعدوا عن التعلُّق بسفاسفِ الأمورِ، وأن يجنحوا إلى مَعاليها، ووصفُ الحكيم يقتضي أنَّهُ العالم بالمنافع الحقِّ على ما هي عليه؛ لأنَّ الحكمة العلمُ بحقائق الأشياء على ما هي عليه[2].

- **ثالثاً: قولُهُ تعالى:** { وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 71].

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة صفتَي العلمِ والحكمةِ للآية: (وقولُهُ: «عليمٌ حكيمٌ» صفتانِ مناسبتانِ؛ أي: عليمٌ بما يُبطِنُونَهُ من إخلاصٍ أو خيانةٍ، حكيمٌ فيما يجازيهم به)[3].

وقريبٌ من ذلك قولُ ابن عاشور: («واللهُ عليمٌ حكيمٌ» تذييلٌ[1]؛ أي: عليمٌ بما في قلوبهم، حكيمٌ في معاملتِهم على حسَبِ ما يعلمُ منهم)[2].

[1] وانظر للاستزادة إرشاد العقل السليم (36/4).
[2] انظر التحرير والتنوير (77/10).
[3] المحرر الوجيز (555/2).

والحاصل: أنَّ الخيانةَ من أفعال القلوب، لا يطَّلع عليها إلا علَّام الغيوب سبحانه وتعالى، وهذا المعنى يناسبُهُ صفةُ العليم، ومجازاةَ كلِّ عاملٍ بما يستحقُّهُ من الجزاءِ لا تكونُ إلا للحكيم سبحانه وتعالى الذي يضعُ الأشياءَ في مواضعِها التي تليقُ بها.

- **رابعاً: قولُهُ تعالى:** {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنفال: 75].

قال ابنُ عطيَّة: (و«عليمٌ» صفةٌ مناسبةٌ لنفوذِ هذه الأحكامِ)[3].

ويلاحظ: أنَّهُ ذكرَ المناسبةَ إجمالاً دون تفصيلٍ.

ولعلَّ وجهَ المناسبةِ: أنَّ المقامَ مقامُ تقريرِ حكمٍ شرعيٍّ، وهذا يناسبُه ذكرُ صفة العلم؛ لأن المشرِّع ينبغي أن يكون عالماً بأحوال المشرَّع لهم، والله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان، وهو أعلم بما يناسبه من الأحكام، وأعلمُ بمصالح الناس، ومن جملة ذلك علمُهُ بكيفيَّة تقسيم المواريث، وما يستحقُّه كلُّ وارث بحسب درجة قرابته ونحو ذلك، وإذا علم العبدُ بذلك وأيقنَ به تلقَّى أحكامَهُ سبحانه وتعالى بالسَّمع والطاعة.

ولعلَّ في كلام ابن عطيَّة في المثال الآتي ما يؤيِّد ذلك.

وقريبٌ ممَّا ذكرَه ابنُ عطيَّة: ما ذكرَهُ البيضاويُّ (685هـ)[4]، وأبو السعودِ[1]، وابنُ عاشور[2].

---

[1] **التذييل:** (تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد). المختصر شرح تلخيص المفتاح (ص467).

[2] التحرير والتنوير (83/10).

[3] المحرر الوجيز (558/2).

[4] انظر أنوار التنزيل (69/3).

ويلاحظ في هذا المثال: أنَّهُ قد وردَ في ختام هذه الآية صفةٌ واحدة؛ وهي العلم، بخلاف الأمثلة السابقة؛ حيث وردَ في كلِّ آيةٍ صفتانِ.

المطلب الثالث: دراسة الأمثلة الواردة في سورة التوبة

وقد وقفت على مثال واحد، وهو:

- **قولُهُ تعالى:** { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 60].

قال ابنُ عطيَّة في بيانِ مناسبة صفتَيِ العلمِ والحكمةِ لمضمون الآية: (ثم وصفَ نفسَهُ تعالى بصفتينِ مناسبتينِ لحُكمِ هذه الآيةِ؛ لأنَّهُ صدرَ عن علمٍ منه بخلقِهِ، وحكمةٍ منه في القِسْمةِ بينَهم)[3].

أي: أن المقامَ مقامُ بيانِ حكمٍ شرعيٍّ؛ وهو بيانُ مستحِقِّي الصَّدقات، وهذا يناسبُهُ صفتا العلمِ والحكمةِ؛ لأنَّ المشرّع ينبغي أن يكونَ عالماً بأحوال المشرَّع لهم، وأن يكون تشريعُهُ مناسباً لهم وعلى وَفْقِ ما تقتضيهِ الحكمةُ البالغةُ، وهو سبحانه وتعالى خالقُ الناس؛ فهو أعلمُ بأحوالِهم وشؤونِهم وما يناسبُهم من الأحكام، وهو الحكيمُ الذي يضعُ الأمورَ في مواضعِها

[1] انظر إرشاد العقل السليم (38/4).
[2] انظر التحرير والتنوير (93/10).
[3] المحرر الوجيز (52/3).

المناسبة، ومن جملة ذلك علمُهُ بمراتب استحقاق الناس، وقد اقتضَتْ حكمتُه سَوْقَ الحقوقَ إلى مستحِقِّيها، وقصرَ الصَّدقاتِ على المذكورينَ.

وقريبٌ ممَّا ذكرَه ابنُ عطيَّة: ما ذكرَهُ أبو السعودِ[1]، وابنُ عاشور[2].

المطلب الرابع: دراسة الأمثلة الواردة في سورة يوسف

- **أوَّلاً: قولُهُ تعالى:** {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف:6].

قال ابنُ عطيَّةَ في بيان مناسبةِ صفتَيِ العلمِ والحكمة لمضمونِ الآيةِ: (والنِّعمةُ على يوسفَ: كانت تخليصَهُ مِنَ السِّجنِ، وعِصمتُهُ، والمُلكُ الذي نالَ، وعلى إبراهيمَ: هي اتِّخاذُهُ خليلاً، وعلى إسحاقَ: فِديتُهُ بالذِّبحِ العظيمِ، مضافاً ذلك كلُّهُ إلى النُّبوءةِ، و«عليمٌ حكيمٌ» مناسبتانِ لهذا الوعدِ)[3].

ويلاحظ: أنَّهُ ذكرَ المناسبةَ إجمالاً دون تفصيلٍ.

ولعلَّ وجهَ المناسبةِ: أنَّهُ سبحانه وتعالى عليمٌ يعلم من يستحقُّ الاجتباءَ، وهو أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ، حكيمٌ لا يُتِمُّ نعمتَهُ إلا على من يستحقُّها.

[1] انظر إرشاد العقل السليم (77/4).
[2] انظر التحرير والتنوير (240/10).
[3] المحرر الوجيز (221/3).

ويدلُّ على ذلك قولُ الزمخشري: ({إِنَّ ربَّكَ عليمٌ} يعلمُ من يحقُّ له الاجتباءُ {حكيمٌ} لا يُتِمُّ النِّعمةَ إلا على من يستحقُّ)[1].

وقولُ الرازي (421/18): (ثمَّ إنَّهُ عليه السَّلامُ لمَّا وعدَهُ بهذه الدَّرجاتِ الثلاثِ ختمَ الكلامَ بقولِهِ: {إِنَّ ربَّكَ عليمٌ حكيمٌ}؛ فقولُهُ: {عليمٌ} إشارةٌ إلى قولِهِ: {اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ}[الأنعام: 124]، وقولُهُ: {حكيمٌ} إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى مقدَّسٌ عنِ السَّفهِ والعَبَثِ، لا يضعُ النُّبوَّةَ إلا في نفسٍ قُدسيَّةٍ، وجوهرةٍ مُشرقةٍ عُلويَّةٍ)[2].

وقولُ أبي السُّعود: ({إِنَّ ربَّكَ} استئنافٌ لتحقيقِ مضمونِ الجُمل المذكورةِ؛ أي: يفعلُ ما ذُكِرَ؛ لأنَّهُ {عليمٌ} بكلِّ شيءٍ، فيعلمُ من يستحقُّ الاجتباءَ وما يتفرَّعُ عليه؛ من التعليمِ المذكورِ، وإتمامِ النِّعمةِ العامَّةِ على الوجهِ المذكورِ، {حكيمٌ} فاعلٌ لكلِّ شيءٍ حسبما تقتضيهِ الحكمةُ والمصلحةُ، فيفعلُ ما يفعلُ كما يفعلُ جرياً على سننِ علمِهِ وحكمتِهِ)[3].

ويؤخذ من كلامه: أن جملة {إن ربَّك عليم حكيم} استئنافٌ تعليليٌّ.

وقولُ ابنِ عاشور: (وجملةُ {إنَّ ربَّكَ عليمٌ حكيمٌ} تذييلٌ بتمجيدِ هذهِ النِّعمِ، وأنَّها كائنةٌ على وَفْقِ علمِهِ وحكمتِهِ، فعلمُهُ هو علمُهُ بالنُّفوسِ الصالحةِ لهذهِ الفضائلِ؛ لأنَّهُ خلقَها لقبولِ ذلكَ، فعلمُهُ بها سابقٌ، وحكمتُهُ وضعُ النِّعمِ في مواضعِها المناسبةِ)[4].

[1] الكشاف (445/2).
[2] مفاتيح الغيب (421/18).
[3] إرشاد العقل السليم (255/4).
[4] التحرير والتنوير (217/12).

ويؤخذ من قوله: (بتمجيد هذه النِّعم): أن جملة {إن ربَّك عليم حكيم} بالإضافة إلى إفادتها التعليلَ.. تفيدُ تعظيمَ النِّعم المذكورة في الآية ورِفعةَ شأنها.

- **ثانياً: قولُهُ تعالى:** {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: 34].

قالَ ابنُ عطيَّة في بيان مناسبةِ صفتَي السَّمعِ والعلمِ للآية: ({فاستجابَ له ربُّهُ}؛ أي: أجابَهُ إلى إرادتِهِ، {وصرفَ عنهُ كيدهنَّ} في أنْ حالَ بينَهُ وبينَ المعصية، وقوله: {السميع العليم} صفتانِ لائقتانِ بقولِهِ: {فاستجاب})[1].

ويلاحظ: أنَّهُ ذكرَ المناسبةَ إجمالاً دون تفصيلٍ.

ولعلَّ وجهَ المناسبةِ: أنَّ قولَ يوسف عليه السلام: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: 33]..كلامٌ يتضمَّنُ التشكِّيَ إلى الله عزَّ وجلَّ من حالِهِ مع النِّسوة، والدُّعاءَ إليه في كشفِ بلواهُ[2]، وهو سبحانه وتعالى السميعُ لدعاء المتضرِّعينَ إليهِ، العليم بأحوالهم وما يصلحهم؛ ولذلك استجاب له، وصرف عنه كيدَهنَّ[3].

- **ثالثاً: قولُهُ تعالى:** { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [يوسف: 83].

---

[1] المحرر الوجيز (242/3).

[2] انظر المحرر الوجيز (242/3).

[3] انظر إرشاد العقل السليم (274/4).

قال ابنُ عطيَّة في بيانِ مناسبة صفتَي العلمِ والحكمةِ للآيةِ: (والوصفُ بالعلمِ والإحكامِ لائقٌ بما يرجوهُ من لقاءِ بنيهِ، وفيها تسليمٌ لحكمةِ اللهِ تعالى في جميعِ ما جرى عليهِ)[1].

وقال ابنُ عاشور: (وجملة {إنَّهُ هو العليمُ الحكيمُ} تعليلٌ لرجائه من الله بأنَّ الله عليمٌ؛ فلا تخفى عليه مواقعُهم المتفرّقةُ، حكيمٌ؛ فهو قادرٌ على إيجادِ أسبابِ جمعِهم بعد التفرُّقِ)[2].

ويؤخذ من كلامه: أن جملة {إنَّهُ هو العليم الحكيم} استئناف تعليليٌّ.

ويلاحظ: أن ابن عطيَّة ذكر مناسبة الوصفين، وأما ابنُ عاشور فذكر مناسبة الجملة التي ورد فيها الوصفان، ومؤدَّى الكلامين واحد، لكن في كلام ابن عطيَّة معنى زائد على كلام ابن عاشور؛ وهو تسليمُ يعقوب عليه السَّلامُ لحكمة الله تعالى في جميع ما جرى عليه، ومن جملة ذلك تفرُّقُ بنيهِ، وذلك إغناءٌ للمعاني التي تحتملُها هذه الجملة الخبريَّة {إنَّهُ هو العليمُ الحكيمُ}، وحَرِيٌّ بكلِّ مسلمٍ مبتلىً أن يجعلَها نُصْبَ عينيهِ.

المطلب الخامس: دراسة الأمثلة الواردة في سورة إبراهيم

- **أوَّلاً: قولُهُ تعالى:** {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم: 1].

[1] المحرر الوجيز (271/3).
[2] التحرير والتنوير (41/13).

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة وصفَي العزيزِ والحميدِ للآية: (والعزيزُ الحميدُ صفتانِ لائقتانِ بهذا الموضعِ؛ فالعِزَّةُ مِنْ حيثُ الإنزالُ للكتابِ وما في ضمنَ ذلكَ من القُدرةِ، واستيجابُ الحمدِ مِنْ جهةِ بثِّ هذهِ النِّعمِ على العالمِ في نصبِ هدايتِهم)[1].

وقال البيضاويُّ: (وتخصيصُ الوصفينِ؛ للتنبيهِ على أنَّهُ لا يَذِلُّ سالكُهُ، ولا يخيبُ سابلُهُ)[2].

وقال أبو السُّعود: (وتخصيصُ الوصفينِ بالذِّكرِ؛ للترغيبِ في سلوكِهِ ببيانِ ما فيهِ من الأمنِ والعاقبةِ الحميدةِ)[3].

وكلامُ أبي السعود يفيد أن فائدةَ التنبيه الذي ذكره البيضاوي.. هي الترغيب في سلوك هذا الصِّراط؛ لأنه صراطُ العزيز الحميد سبحانه، ومن هُدِيَ إليه كان آمناً عزيزاً محمودَ العاقبةِ.

وذكرَ ابنُ عاشور أنَّ اختيار العزيزِ والحميدِ مِنْ بين الصفات؛ لمناسبتهما للمقام، لأنَّ العزيزَ الذي لا يُغلَبُ، وهو بإنزال الكتاب غالبٌ للمخالفينَ، مقيمٌ الحُجَّةَ عليهم، والحميدَ بمعنى المحمود؛ لأن في إنزال هذا الكتاب نعمةً عظيمةً تُرشِدُ إلى حمدِهِ عليه، وبذلك استوعب الوصفان الإشارةَ إلى الفريقين؛ من مُنساقٍ إلى الاهتداء من أوَّلِ وهلةٍ، ومن مجادلٍ صائرٍ إلى الاهتداء بعد قيام الحجة عليه[4].

ويؤخذ من مجموع أقوال هؤلاء المفسِّرين: غزارةُ المعاني التي يمكن أن يُفسَّرَ بها وجهُ مناسبة هذين الوصفين للآية:

---

[1] المحرر الوجيز (322/3).
[2] أنوار التنزيل (192/3).
[3] إرشاد العقل السليم (30/5).
[4] انظر التحرير والتنوير (181/13).

ففيهما أوَّلاً: إشارة إلى أنَّ إنزال هذا الكتاب لهداية الناس.. إنما يكون من عزيزٍ قادرٍ لا يُغلَبُ، ولا يستطيع أحدٌ أن يأتيَ بمِثل كتابه المعجِزِ، حميدٍ مستوجِبٍ للحمد؛ لتفضُّله بإنزال هذا الكتاب لهداية الناس.

وفيهما ثانياً: تنبيهٌ على أنَّ من أُخرِجَ من الظلمات إلى النُّور، وهُدِيَ إلى صراط العزيز.. يكون عزيزاً بعِزَّة الإيمان، آمناً من العذاب والهلاك، محمودَ العاقبة في شؤونه كلِّها.

وفيهما ثالثاً: إشارة إلى أنَّ من الناس من يهتدي بالقرآن من أوَّل وهلةٍ، ومنهم من يهتدي به بعد قيام الحُجَّة عليه.

- **ثانياً: قولُهُ تعالى:** { وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم: 8].

قال ابنُ عطيَّة في بيان مناسبة وصفَي الغنيّ والحميدِ: (في هذهِ الآيةِ تحقيرٌ للمخاطَبينَ بشرطِ كفرِهم وتوبيخٌ؛ وذلك بيّنٌ من الصِّفتينِ اللتينِ وصفَ بهما نفسَهُ تعالى في آخرِ الآية، وقولُهُ: {لغنيٌّ} يتضمَّنُ تحقيرَهم وعظمتَهُ؛ إذ له الكمالُ التامُّ على الإطلاقِ، وقولُهُ: {حميدٌ} يتضمَّنُ توبيخَهم؛ وذلك أنَّهُ صفةُ مُستوجِبِ المحامدِ كلِّها، دائمٍ كذلكَ في ذاتِهِ، لم يَزَلْ ولا يَزالُ، فكفرُكم أنتم بإلهٍ هذه حالُهُ غايةُ التخلُّفِ والخذلانِ، وفي قولِهِ أيضاً: {حميدٌ} ما يتضمَّنُ أنَّهُ ذو آلاءَ عليكم أيُّها الكافرونَ بهِ، كانَ يستوجبُ بها حمدَكم، فكفرُكم به مع ذلك أذهبُ في الضَّلالِ، وهذا توبيخٌ بيّنٌ)[1].

[1] المحرر الوجيز (325/3 – 326).

وقال الرازيُّ: (قولُهُ: {فإن الله لغنيٌّ}، وتفسيرُهُ: أنَّهُ واجبُ الوجودِ لذاتِهِ، واجبُ الوجود بحسَبِ جميعِ صِفاتِهِ واعتباراتِهِ... وإذا كان الأمرُ كذلك كان حميداً لذاتِهِ؛ لأنَّهُ لا معنى للحميدِ إلا الذي استحقَّ الحمدَ، فثبت بهذا التقرير الذي ذكرْناهُ أنَّ كونَهُ غنيّاً حميداً يقتضي ألا يزدادَ بشُكرِ الشاكرينَ، ولا ينتقصَ بكُفرانِ الكافرينَ؛ فلهذا المعنى قال: {إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغنيٌّ حميدٌ}، وهذه المعاني من لطائف الأسرار)[1].

والفرقُ بين كلام ابن عطيَّة وكلام الرازيّ: أنَّ ابن عطيَّة نظرَ إلى ما يتضمَّنُهُ ذكرُ هذين الوصفين من المناسبة لغرض التحقيرِ والتوبيخِ الذي تدلُّ عليه الآيةُ؛ فوصفُ (الغنيّ) يدلُّ على كماله سبحانه وتعالى، وأنَّهُ المستحِقُّ للعبادة؛ فيكون الكفرُ به خلافَ ما تقتضيه العقولُ السليمةُ، ووصفُ (الحميدِ) يدلُّ على أنه ذو نِعَمٍ على خلقه، وأنَّهُ يستوجبُ الحمدَ منهم، ولكن الكافرينَ قلبوا الأمرَ، ووضعوا الكفرَ موضعَ الشُّكر، وفي ذلك توبيخٌ لهم.

وأمَّا الرازيُّ فنظرَ إلى ما يدلُّ عليه الوصفان من كمالِهِ سبحانه وتعالى واستغنائِهِ عن طاعة خلقه، وهذا يتناسبُ مع صدر الآية.

- **ثالثاً: قولُهُ تعالى:** { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [إبراهيم: 48].

قال ابنُ عطيَّة: (و{وَبَرَزُوا } مأخوذٌ من البَرازِ[2]؛ أي: ظهروا بينَ يديهِ، لا يُواريهم بناءٌ ولا حِصْنٌ، وقولُهُ: {الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} صفتانِ لائقتانِ بذكرِ هذهِ الحالِ)[1].

[1] مفاتيح الغيب (19/ 67- 68).

[2] **البَراز**: الفضاء الواسع. انظر الصحاح (ب ر ز) (864/3).

ويؤخذ من كلامه: أنَّ التناسبَ بين الصفتينِ وقوله تعالى: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ } وما يدلُّ عليه من كونهم في مكشوفٍ من الأرض لا يحجبُهم عن الله تعالى شيء يمنعُهم منهُ، ولكنَّهُ أجملَ الكلامَ في جهة التناسب، ولم يفصِّلْهُ.

وبنحو قولِهِ قال جمعٌ مع المفسِّرين مع زيادة إيضاحٍ لجهة التناسب؛ **فقال الزمخشريُّ: (فإن قلتَ:** كيفَ قال: {الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}؟

قلتُ: هو كقولِهِ: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: 16]؛ لأنَّ المُلكَ إذا كانَ لواحدٍ غلَّابٍ لا يُغالَبُ ولا يُعازُّ[2]؛ فلا مُستغاثَ لأحدٍ إلى غيرِهِ ولا مُستجارَ.. كان الأمرُ في غاية الصُّعوبةِ والشِّدَّةِ)[3].

وقوله: (كيفَ قال: {الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}؟)؛ أي: كيفَ ضمَّ هذا مع قوله: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ }؟

وأجابَ: أنَّ انضمامَهُ معَهُ يفيد الصُّعوبةَ والشِّدَّةَ؛ كانضمام قولِهِ: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} مع قولِهِ: {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[4].

والحاصل: أنَّ الخلقَ يُعرَضونَ للحسابِ والجزاءِ، ويكونونَ في أرضٍ مكشوفةٍ، لا يسترُهم فيها شيءٌ؛ والمُلك والحكم لله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن ينازعَهُ في ذلك، أو يُجيرَ أحداً، أو يشفعَ لأحدٍ إلا بإذنه؛ فيكون الأمر في غاية الصُّعوبة والشِّدَّة؛ لأنَّ وجودَ الملجأ في حالات الشِّدَّة يهوِّنُها، وأمَّا في هذا اليوم فلا ملجأَ من الله إلا إليه.

---

[1] المحرر الوجيز (347/3).

[2] قوله: (ولا يعازُّ) بمعنى: (لا يُغالَب)، فهو عطف تفسير.

[3] الكشاف (567/2).

[4] انظر فتوح الغيب للطيبي (636/8).

وتبعَ الزمخشريَّ البيضاويُّ؛ فقال: (وتوصيفُهُ بالوصفينِ؛ للدلالةِ على أنَّ الأمرَ في غايةِ الصُّعوبةِ؛ كقولِهِ: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }[غافر: 16]؛ فإنَّ الأمرَ إذا كانَ لواحدٍ غلَّابٍ لا يُغالَبُ فلا مُستغاثَ لأحدٍ إلى غيرِهِ ولا مُستجارَ)[1].

وتبعَهما أبو السُّعودِ مع زيادة تفصيلٍ وفوائد لذكر الوصفينِ؛ فقال: (والتعرُّضُ للوصفينِ؛ لتهويلِ الخَطْبِ وتربيةِ المَهابةِ[2]، وإظهارِ بُطلانِ الشِّركِ، وتحقيقِ الانتقامِ في ذلك اليومِ على تقديرِ كونِهِ ظرفاً لهُ، وتحقيقِ إتيانِ العذابِ الموعودِ على تقديرِ كونِهِ بدلاً من {يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ} [إبراهيم: 44]؛ فإنَّ الأمرَ إذا كان لواحدٍ غلَّابٍ... كان في غايةِ ما يكونُ من الشِّدَّةِ والصُّعوبةِ)[3].

أي: أنَّ قوله تعالى: { وَبَرَزُوا} معطوف على قوله: { تُبَدَّلُ}؛ فإن كان قولُهُ تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ} ظرفاً لقوله: { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم: 47].. ففي التعرُّض للوصفين مع زيادةِ المَهابة تحقيقٌ للانتقام؛ لأنَّهُ يقعُ من واحدٍ قهَّارٍ لا يستطيع أحدٌ ردَّ انتقامِهِ، وإظهارٌ لبُطلان الشِّرك؛ لأنَّ المُلك لله الواحدِ، وأمَّا الأصنام والأوثان فلا مُلك لها، ولا تُغني عن أحد شيئاً، وإن كان قولُهُ تعالى: { يوم تُبَدَّلُ } بدلاً من قولِهِ: { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ}.. ففي التعرُّض للوصفينِ تحقيقٌ لإتيانِ العذاب الموعود ونزولِهِ بمستحِقِّيه؛ لأنَّهُ يقعُ من قهَّارٍ غلَّابٍ لا يستطيع أحد ردَّ عذابه.

---

[1] أنوار التنزيل (3/203 – 204).

[2] **تربية المهابة**: زيادتها.

[3] إرشاد العقل السليم (5/60).

وأمَّا ابنُ عاشور فقصرَ فائدةَ التعرُّضِ للوصفينِ على إثباتِ الوحدانيَّة والردِّ على المشركينَ؛ فقال: (والوصفُ بالواحدِ القهَّارِ للردِّ على المشركينَ الذين أثبتوا لهُ شركاءَ، وزعموا أنَّهم يدافعونَ عن أتباعهم)[1].

ويؤخذ من مجموع أقوال هؤلاء المفسِّرين: غزارةُ المعاني التي يمكن أن يُفسَّرَ بها وجهُ مناسبة هذين الوصفين للآية، وهذا وجهٌ من وجوه بلاغة هذا الكتاب المعجِزِ.

الخاتمة

تبيَّنَ من خلال البحث النتائجُ الآتيةُ:

- من المفسِّرين الذين لهم عناية أيضاً بهذا النوع من التناسب إضافة إلى ابن عطيَّة: الزمخشريُّ، والرازيُّ، والبيضاويُّ، وأبو السُّعود، وابنُ عاشور.
- غالبا ما تأتي الصفات التي يبيِّن ابن عطيَّة مناسبتها ضمن جملة موقعها موقعُ الاستئناف التعليلي أو التذييل، وأكثر من ينبِّهُ على ذلك أبو السُّعود وابنُ عاشور.
- الصفات التي بيَّن ابن عطيَّة مناسبتها هي: **(السميع العليم)**، وقد وردتا في سياق الحديث عمَّا يصدر عن الكفار من الأقوال القبيحة المتضمِّنة للكفر والاستهزاء، وفي ذكر هاتين الصفين تهديد ووعيد لهم، وفي سياق ذكر استجابته تعالى للدعاء، و**(العليم الحكيم)**، وقد وردتا في سياق الحديث عن أمور لا تصدُرُ إلا عن علم وحكمة بالأمور المستوجبة لتخليد الكفار في النار، والحديث عن علم الله تعالى بما يضمره المشركون من نيَّة الغدر بالمؤمنين، والحديث عن نفوذ الأحكام الشرعية

[1] التحرير والتنوير (253/13).

الصادرة عن العليم الحكيم، والحديث عن وعده سبحانه وتعالى بإنجاز مطلوب، والحديث عن رجاء العبد أن ينجز الله تعالى له أمراً محبوباً فيه خير، و(**العزيز الحكيم**)، وقد وردتا في سياق الحديث عن نصر المؤمنين وغلبة المشركين وما يتعلَّق بذلك من أحكام أسرى المشركين، و(**الحكيم الخبير**)، وقد وردتا في سياق الحديث عن استحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة والألوهيَّة، و(**العليم**)، وقد وردت في سياق الحديث عن نفوذ الأحكام الشرعية، و(**العزيز الحميد**)، وقد وردتا في سياق الحديث عن إنزال القرآن الكريم وهدايته للناس وما يناله متَّبع القرآن من العزَّة والكرامة، و(**الغني الحميد**)، وقد وردتا في سياق الحديث عن استغنائه سبحانه وتعالى عن طاعة المخلوقين، و(**الواحد القهار**)، وقد بيَّن مناسبتهما في موضع واحد، وقد وردتا في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة.

- يذكر ابنُ عطيَّة المناسبة ويفصِّل فيها أحياناً، وأحياناً يذكرها بإجمال دون تفصيل، وقد يجمل في موضع، ويفصِّل في موضع آخر نظير له، فيكون التفصيل مبيِّناً للإجمال، وقد يجمل ويذكر عبارة تدعو إلى التفكُّر والتأمُّل؛ لحثِّ القارىء على الاجتهاد وإعمال الفكر والنَّظر، وهذا من باب فتح أبواب العلم للناظرين في تفسيره وفي القرآن الكريم.

- قد تكون مناسبة الصفة للآية أو لجملة منها، وقد تكون لمجموعة آيات أو قصة.
- تتوارد أقوال المفسرين أحياناً على مناسبة واحدة، وتختلف أحياناً فتعطي ثراءً في أوجه المناسبة، وهذا وجهٌ من وجوه بلاغة هذا الكتاب المعجِز.
- يذكر ابن عطية في الغالب مناسبةَ الوصفين للآية أو نحوها، وأما غيره من المفسرين ففي الغالب يذكرون مناسبة الجملة المتضمنة للوصفين، ومؤدَّى الكلامين واحد مع بعض الزيادات في المعنى التي قد ينفرد بها بعضُهم.
- أغلب الآيات التي اعتنى ابنُ عطيَّة ببيان مناسبة الصفات الواردة فيها لمضمونها.. ورد فيها صفتان لله تعالى، وفي آية واحدة وردت صفةٌ واحدة.

المراجع:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د/ط، د/ت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- – إعجاز القرآن والبلاغةُ النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1425هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، د/ط، د/ت.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ – 1987 م.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب، الحسين بن عبد الله الطيبي (ت 743هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، جائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ – 2013م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطيَّة الأندلسي (ت 542هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
- المختصر شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 792 هـ)، تحقيق عجاج عودة برغش، دار التقوى، دمشق، الطبعة الأولى، 1442هـ – 2021م.

- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،1420 هـ.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، د/ط، 2000م.
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، فايد عبد الوهاب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د/ط، 1973م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد التلمساني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.